السمات النفسية الاجتماعية للشخصية الجزائرية

الحسين حماش
أستاذ وحدة علم النفس المعهد الوطني للتكوين العالي لإطارات الشباب تقصراين

تتميز الشخصية الجزائرية بمميزات و سمات نفسية اجتماعية متنوعة ، تشير كلها إلى نوعية الذهنية و العقلية الاجتماعية الموجودة في نفسية الفرد الجزائري،و التي من خلالها تنتج معظم سلوكاته و تصرفاته المتجلية بشكل واضح في الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها في حياته اليومية الاجتماعية أثناء تفاعله مع غيره من الأفراد.

من بين السمات الملاحظة في شخصية الجزائري يذكر عزة النفس التي كثيرا ما يتشبث بها الفرد في مجتمعنا ، حتى انه يقبل الخسارة في كل شيء مقابل الاحتفاظ بعزته و كرامته و ذلك في جميع الأحوال و الظروف . بعد هذا تجد ميزة التحدي و النرفزة التي تظهر عند الفرد بمجرد حدوث شيء من سوء التفاهم بينه و بين الآخر حيث تراه يميل إلى الظهور بمظهر العنف حتى يخيف خصمه و التغلب عليه ، لأن التراجع إلى الوراء أمام الخصم يعتبر من الأمور غير المحبذه إطلاقا في المجتمع .

و من السمات البارزة أيضا يمكن ذكر سرعة التأقلم مع الأحوال و الظروف الاقتصادية و الاجتماعية مهما كانت صعوباتها ، فهو يقوم بسلوكات و أدوار تمكنه من التغلب عليها.

ثم تجد هناك سمات أخرى يتصف بها الفرد الجزائري و تتمثل في الحساسية و عدم تقبل النقد و ميزة الابتعاد و التخلي عن الأعمال اليدوية وحب القيام بأعمال الإشراف و التسيير.

و فيما يلي يمكن التطرق بالدراسة و التحليل لهذه السمات و الصفات .

1- عزة النفس والأنفة

تعتبر من السمات البارزة في شخصية الفرد الجزائري و الملاحظة بصفة واضحة على مستوى سلوكه و تفاعله مع الآخرين ، في مختلف مجالات الحياة اليومية الاجتماعية.

يمكن ان يتقبل كل شيء إلا ان تتعرض شخصيته للمهانة و التحقير ، فهو يستطيع ان يتحمل مختلف مصاعب الحياة من جوع و عطش و حرمان و لكنه لا يقبل أبدا أن تهان نفسه خاصة أمام وجود أفراد آخرين .

و هذا ما يؤكده هذا المثل الشعبي الذي يقول : معيشة الحيف و لا ضياع النيف و كلمة (النيف) تعني في اللهجة الجزائرية الأنف الذي يرمز إلى الأباء و الشرف و الكرامة .أما بالنسبة للمثل فمعناه يدل : على الإنسان ان يتحمل الشقاوة و شظف العيش بعزة و كرامة خير له من ان يعيش في النعيم ذليلا مهانا.

و يؤكد معنى هذا المثل مثل آخر متداول في بلاد القبائل الكبرى يقول :

أنرزو لا أنكنو و في معنى المثل تشبيه لعزة الإنسان و

كرامته بمادة الفولاذ الذي يقبل الكسر و لا يقبل الانثناء . و مضمون المثل هو ان الإنسان الشريف العزيز النفس يفضل الكسر و الغناء على الانحاء و الذل و الدونية (أحمد بن نعمان ، 1988 : 403 404) .

2 التحدي و سرعة النرفزة

تتميز الشخصية الجزائرية بروح التحدي الزائد عن اللزوم إلى درجة التهور و تعود هذه السمة إلى عوامل تاريخية بعيدة الجذور في المقاومة العنيفة لأمواج من الغزاة الذين استهدفوا البلاد على امتداد التاريخ و آخرها الاحتلال الفرنسي .

و قد أدت هذه المقاومة الطويلة إلى ترسيخ روح التحدي في نفوس الأفراد و ما تزال متأصلة في نفوسهم إلى الآن و تتجلى بوضوح في المثل الشعبي التالي :

ألي أذاك أذيه و لوكان أجلك فيه و مضمونه أن الذي اعتدى عليك قابله بالمثل و لو أدى ذلك إلى الموت ، و هو قمة التحدي و المعاملة بالمثل (أحمد بن نعمان ، 1988 : 385) .

و الشيء الذي دعم هذه الصفة روح التحدي ميزة النرفزة و سرعة الانفعال التي ينفرد بها الجزائري بشكل واضح إذ أننا نلاحظ الكثير من المناوشات و الاعتداءات الجسدية بين الأفراد لأسباب يمكن أن نقول عنها تافهة و شاغرة من الأهمية لأن تؤدي إلى مثل هذه الصراعات و الاضطرابات . و لكن بالرغم من ذلك فبمجرد اصطدام شخصين مثلا بالجسم أو بالسيارة و حتى إن كان هذا الاصطدام خفيف و لم تنجم عنه أي خسارة مادية أو جسدية إلا أنك ستلاحظ بعد ذلك تبادل الكلام غير اللائق لتطور الأحداث إلى تبادل اللكمات و الضربات بينهما . الزعاف يلان ذقول أنكسن إيفاسن و معنى المثل إن القلب المملوء بالغيظ لا تفرعه إلا الأيدي (أي استعمال الأيدي) .

3 التأقلم مع أحوال المستجدة

إن الظروف الصعبة التي يعيشها الفرد في مجتمعنا خاصة منها الاقتصادية و الاجتماعية جعلته يعمل كل ما في وسعه من أجل تخطيها و التغلب عليها ، حتى يحصل على القدر الكافي من العيش له و لذويه .

و بما ان المشاكل التي يعاني منها الفرد كثيرة و متكررة في حياته اليومية أصبح الجزائري يقوم بسلوكات و تصرفات تتلائم و الوضعية التي يعيشها .

و ما نلاحظه على أرض الواقع هو تأقلم الفرد مع الظرف الذي يكون فيه ، فمثلا إذا ما وجد نقص في مادة من المواد الغذائية على مستوى السوق الوطنية تجد كل الأفراد يعملون على سد هذا النقص بشتى الوسائل . و النتيجة هي : بالرغم من عدم وجود تلك المادة إلا أن الجزائري بفضل تحركاته المستمرة و علاقاته المتعددة مع العاملين في هذا المجال ، يستطيع أن يتحصل عليها .

يستنتج مما سبق تمكن الفرد الجزائري من تحطي العقبات لأجل تحقيق مصلحته الشخصية و العائلية و تأمينها قدر الإمكان.

و من خلال هذا تدرك قدرة الجزائري في التكيف مع الأحوال الاقتصادية التي تخلل حياته حتى و إن كان هذا التكيف ظهر على شكل صراع قائم بين الفرد و مشاكل الحياة .

و من الشواهد الثقافية في الأمثال الشعبية التي تؤكد هذه السمة نذكر هذا المثل الذي يقول : كن ذيب لا يكلك الذياب و يعني أن الإنسان ينبغي أن يتكيف مع الظروف و يساير

الأحوال و يأخذ حيطته في هذه الحياة . فالفرد ملزم و مجبور على ظروف التكيف و التأقلم مع الأوضاع الجارية في الساحة الاجتماعية التي يعيش فيها لأن عكس ذلك يعني الانسحاب منها . و هذا ما يبرهن عليه المثل الشعبي المشهور في مختلف الأوساط الاجتماعية للبلاد و هو : اعمل كما يعمل جارك و إلا حول باب دارك و مضمون المثل كما هو واضح يدعو إلى التكيف مع الأحوال و من لم يستطيع فليهاجر أفضل حتى لا يبقى شاذ يعيش على هامش المجتمع (أحمد نعمان ، 1988 : 370 371) .

4 الحساسية و عدم تقبل النقد

يتميز أفراد المجتمع الجزائري عموما بالحساسية المفرطة ، و هم بقدر ما يستحسنون الكلمة الطيبة و يتأثرون بها بقدر ما لا يقوون على تقبل النقد الموجه إليهم حتى و لو كان نقدا موضوعيا و في محله . الأمر الذي تلاحظه على مستوى التفاعلات التي تجري بين الأفراد فإذا ما وجه أحدهم مثلا ملاحظة أو نقدا يكون في ميدان العمل فإن الآخر لا يقبله حيث أنه يعتبر ذلك النقد على أنه شتيمة ، خاصة إذا كان مشكل شخصي بينه و بين الشخص الذي نقده .

و بهذا أصبح الناس يشعرون بأن أي نقد موجه إليهم هو نوع من الإهانة و الاحتقار الذي يمس بالكرامة و ينقص من قيمة الشخص .

و لعل من المفارقات التي تستدعي التعجب في هذا الخصوص أن الجزائري بقدر ما يكره أن يوجه إليه النقد ، بقدر ما يحب أن ينقد الغير ، كما أنه بقدر ما يجب أن يكون صريحا مع الغير ، لا يقبل صراحة الغير معه إلا على مضض (أحمد بن نعمان ، 1988 : 433) .

5 الترفع عن العمل اليدوي

إن الكثير من الشباب في وقتنا الحالي لا يريدون ان تكون مهنتهم في ميدان الأعمال اليدوية ، فهو يميلون أكثر إلى الأعمال الإدارية ذات الطابع الإشرافي و ما يبرز ذلك تزايد الطلب على الوظائف الإدارية و التخلي الملحوظ عن الأعمال الحرفية و اليدوية . و لعل هذا مرتبط بسمة عزة النفس ينظر الجزائري إلى هذه الأعمال و المهن بأنها محقرة للفرد و منقصة لشخصيته و قد أصبح معظم الأفراد نتيجة لهذا الشعور يتجهون إلى المهن التي تضمن لهم مسؤولية التسيير و الإشراف دون المشاركة الفعلية في الأعمال .

و يؤكد هذه الحالة مثل شعبي يقول : أنت مير و أنا مير اشكون يسوق لحمير و المثل يعبر بوضوح تام عن هذا الواقع الذي جعل الناس يتهافتون على الوظائف الحكومية و مناصب الإشراف أو ممارسة الأعمال الحرة كالتجارة و غيرها . و لا يقبلون على الأعمال اليدوية إلا مؤقتا و عند الضرورة (أحمد بن نعمان ، 1988 : 439).

و بناءا على هذا يمكن أن نتصور قوة الضغط الممارس على القطاعات الإدارية في ميدان الاقتصادي و تقلص القطاعات الأخرى لا سيما من الأيدي العاملة و الإمكانيات البشرية اللازمة لنموها و تطورها .

و ما يمكن قوله في هذا الصدد انه إذا استمر قطاع التشغيل على هذا المنوال فإن النتائج ستكون وخيمة على الاقتصادي الوطني.

بعد التحليل الموجزة لهذه السمات الملاحظة بصفة متكررة على مستوى شخصية الفرد الجزائري و المتجلية بصورة واضحة أثناء قيامه بأدواره الاجتماعية في هذه الحياة .

يستنتج شيء مهم جدا و هو أن الجزائري لازال يتخبط في مميزات وصفات نفسية اجتماعية تدل على التخلف الذي يعرقل نمو المجتمع اجتماعيا و اقتصاديا و ابتعاده عن الشخصية اللازمة ، للتحرر و التقدم في مختلف الميادين .

المراجع

- أحمد بن نعمان سمات الشخصية الجزائرية من منظور الانثريولوجيا النفسية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988.